

شخصية سيدي محمد الهوراي في الكتابات الإستشراقية الفرنسية

خلال الفترة الاستعمارية: رصد ببليوغرافي *

أ.د. هلايلي حنفي

جامعة سيدي بلعباس

البريد الإلكتروني: hanifi_andalous@yahoo.fr

تاريخ القبول: 2017/03/10

تاريخ الاستلام: 2017/02/15

الملخص:

اهتمت المدونات الفرنسية منذ احتلال الجزائر سنة 1830 بالتراث العربي الإسلامي ، فظهرت كتابات مبكرة في حقل التحقيق والتحقيب والترجمة ، أطرها مستعربون ومترجمون وخريجي مدرسة الآداب بالجزائر. من بين هذه الاهتمامات التأريخ للفكر الديني الصوفي الجزائري الذي ظهر على شكل أبحاث ميدانية وكتابات مونوغرافية . تركزت هذه المداخل على شخصية الصوفي العالم محمد الهوراي الذي خصصت له الكتابات الفرنسية حيزا كبيرا من الاهتمام كرجل صوفي لعب أدوار بارزة في حاضرة المغرب الأوسط و هذا من خلال التعريف بشخصيته العرفانية الربانية و مناقبه و تأليفه الصوفية . نشرت معظم أعمال المستعربين حول سيدي محمد الهوراي في المدونات الفرنسية كالمجلة الإفريقية و المجلة الآسيوية أو كتابات مستقلة . تعتمد هذه الدراسة على المنهج الببليوغرافي المونوغرافي لأهم الدراسات الفرنسية المنجزة حول شخصية سيدي محمد الهوراي.

الكلمات الدالة:

المدونات الفرنسية - الجزائر - سيدي محمد الهوراي - المستشرقون - الفرمانات العثمانية.

العنوان بالإنجليزية:

The character of the mystic Sidi Muhammad al - Houari in the French Orientalist writings During the colonial period bibliographic monitoring

Abstract:

Since the occupation of Algeria in 1830, the French blogosphere has been interested in the Arab-Islamic heritage. Early writings in the field of investigation,

investigation and translation have appeared in the framework of interrogators, translators and graduates of the School of Arts in Algeria. Among these concerns is the history of Algerian mystical religious thought, which appeared in the form of field research and monographic writings.

This intervention is based on the character of the mystic world Mohammed Al-Houari, to whom the French literature devoted a great deal of attention as a mystic man who played prominent roles in the central city of Morocco by introducing him to his character, mysticism, and Sufism. Most of the abusers' work has been published around Sidi Mohamed al-Hawari in French blogs such as the African and Asian magazines or independent writings. This study is based on the bibliographical bibliography of the most important French studies on the personality of Sidi Mohamed El Houari.

Key words:

French Blogs - Algeria - Sidi Mohamed El Houari – Orientalists.

اهتمت المدونات الفرنسية منذ احتلال الجزائر سنة 1830 بالتراث العربي الإسلامي ، فظهرت كتابات مبكرة في حقل التحقيق والتحقيب و الترجمة ، أطرها مستعربون ومترجمون وخريجي مدرسة الآداب بالجزائر. ومن بين هذه الاهتمامات التأريخ للفكر الديني الصوفي الجزائري الذي ظهر على شكل أبحاث ميدانية و كتابات مونوغرافية. (1)

لذلك تطمح هذه الدراسة إلى إثارة الموضوع من جديد و بمنهجية تتوخى فهم ظاهرة الأدعية الساخطة ، و تحاول تلمس مرجعيتها الفكرية و التاريخية بالعلاقة مع السياق التاريخي الذي أنتجها و هي فترة العصر الوسيط بالجزائر ثم تتبع صداها في المدونات الفرنسية مقارنة بالصادر المحلية. و تجدر الإشارة هنا أن غياب نصوص و مصادر داعمة لمثل هذه القضايا الشائكة تجعلنا نبحث عن نواة بيبليوغرافية حول شخصية الصوفي العالم محمد الهواري الذي خصصت له الكتابات الإستشراقية الفرنسية حيزا كبيرا من الاهتمام كرجل صوفي لعب أدوار بارزة في حاضرة المغرب الأوسط و هذا من خلال التعريف بشخصيته العرفانية الربانية و مناقبه و تأليفه الصوفية . لقد نشرت معظم أعمال المستعربين حول سيدي محمد الهواري في المدونات الفرنسية كالمجلة الإفريقية و المجلة الأسيوية أو كتابات مستقلة. وعليه فإن

الدراسة تعتمد على المنهج البيبليوغرافي المونوغرافي لأهم الدراسات الفرنسية المنجزة حول شخصية الفقيه محمد الهوراي.

أولاً: ارتباط حادثة مقولة السخط والوعد والوعيد على حاضرة وهران بالشيخ محمد الهوراي.

تنطلق هذه الدراسة أساساً على حادثة دعوة الهوراي الساخطة على وهران، مما أدى حسب الاعتقاد السائد وقتذاك، إلى استيلاء النصارى الإسبان على المرسى الكبير (1505)، و وهران (1509)⁽²⁾. فمن خلال ما ورد في الأدبيات التاريخية الجزائرية خلال الفترة العثمانية ظاهرة الدعاء على وهران وتسلط الاحتلال الإسباني عليها زهاء ثلاثة قرون. وبيّنت بعض المصادر هذه الحادثة كالرحلة القمرية لابن زرفة⁽³⁾ و طلوع سعد السعود للمازاري بن عودة⁽⁴⁾ و الثغر الجماني لابن سحنون الراشدي⁽⁵⁾، و دليل الحيران لمحمد بن يوسف الزياتي⁽⁶⁾.

لقد ذكر الزياتي في دليل الحيران حول هذه الحادثة ما نصه: "و اعلم أن سبب تملك النصارى لوهران هو دعاء الشيخ الهوراي عليها، و ذلك أن أهل وهران بغوا على ولده سيدي أحمد الهائج و قتلوه ظلماً و عدواناً بالمحل المسمى به الآن، و هو الهائج، و واديه يقال له وادي الهائج، و ادعوا عليه أنه هائج عليهم بغير حق... فعند ذلك قال لهم الشيخ... لأي شيء قتلتم ولدي يا أهل وهران، لأنه ثمرة فؤادي و قرة عيني و بضعة مني، فقالوا له: لأنه ارتكب ذنباً و ثبت عليه و قتلته الشريعة. فقال لهم: من حكم بقتله من ساداتنا العلماء؟ فقالوا له: لا نحتاج في ذلك إلى حكم حاكم، و إنما رأينا الشريعة قتلته فقتلناه. فقال لهم: أنتم قتلتم بزعمكم أن الشريعة قتلتم ولد الهوراي، و أن الهوراي لا يجوز ولده لعدم تحقيق دعواكم، و أن قولكم في الظاهر مقبول، ففي الباطن ولدي ناج و كلامكم محلول، فسلمها رضي الله عنه للنصارى، لأنه سلطان مصرها و متولي أمرها، و كان ممن الذين لو أقسموا على الله لبر الله قسمهم و نص دعائه:

روحي يا وهران الفاسقة.

يا كثرة الجور و البغي و الطارقة.

يا ذات الأهل الباغية السارقة.

إني بعثك بيعة موافقة

لنصاري مالقة و جالقة

إلى يوم البعث و التالقة

مهما ترجعي فأنت طالقة.

فلما قال الشيخ ذلك، قال له بعض تلاميذته الحاضرين لدعوته: يا سيدي ، و الفرج لاحقته، فقال الشيخ: و الفرج لاحقته... ثم اعلم أن النصاري (الإسبان) لم يدخلوها بغور دعائه، و أنما دخلوها بعد وفاته باثنين و سبعين عاما لأنه توفي صبيحة السبت ثاني عشر ربيع الثاني سنة ثلاث و أربعين من القرن التاسع، في وقت الملك أحمد ابن أبي حمو موسى بن يوسف الزياني ووقت أخيه القائم عليه أبي يحيى بن أبي حمو موسى بن يوسف الزياني الذي اتخذ(وهران) دار ملكه و سكناه.⁽⁷⁾

و الظاهر أن مثل هذه الأخبار ، التي يصعب تصديقها لما يرتب عنها من البدع الضالة و إلصاقها بالعلماء الصالحين، انتشرت بشكل رهيب في المجتمع المغربي خلال الفترة العثمانية. و إذا تصفحنا كتاب المحن لوجدنا صور كثيرة عن امتحان العلماء في دينهم و أنفسهم و أهلهم و مالهم⁽⁸⁾. وقد جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم: " أمتي أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة، إنما عذابها في الدنيا الفتن و البلايا فإذا صاروا إلى قبورهم تمحيصا لذنوبهم"⁽⁹⁾.

لعل تعلق الناس بالشيخ الهوراي و غيره من الأولياء الصالحين ، حيث أصبح التصوف ظاهرة وجدت طريقها نحو بلاد المغرب عن المثقفين في بداية الأمر، ثم انتقلت مع مطلع القرن 7هـ/13م إلى مختلف شرائح المجتمع، فظهرت الجماعات الصوفية، و انتشرت عديد الزوايا ، فأصبح لكل زاوية شيخها و طريقته و مريدتها. و من خلال العودة إلى كتاب " البستان " نجده يترجم لـ 7متصوفة خلال القرن 7هـ/12م، ثم لـ 18 متصوف إبان القرن 8هـ/14م، ليصل إلى عدد 44 متصوف مع مطلع القرن 9هـ/15م.⁽¹⁰⁾ أولى الإشارات التي تحيلنا إلى الانتشار الواسع لظاهرة التصوف هي كثرة الاعتقادات و الكرامات عند الأولياء حيث جعلت الناس يبalfون في ظاهرة تقديس دور الأولياء فيما يقع في البلاد من الأحداث و إلصاق أدعيتهم بما جرى من العواقب و الزواجر.

ما يسترعي اهتمام الدارس لظاهرة الزوايا هو ارتباط ظهورها و ازدياد نشاطها بواقع حالة التوتر

و الحروب التي سادت علاقات الإسلام بالمسيحية سواء في المشرق أو المغرب. فالصلاح و الولاية سلوك إنساني لا يختص به مجتمع دون غيره أو ثقافة دون أخرى، و لكنه تصرف إنساني وجد في كل الديانات و الثقافات. شكلت الولاية و الصلاح للإنسان الشعبي الدرغ الواقفي و الحصانة السيكلوجية التي كان يستعين بها في مجابهته لقساوة الحياة اليومية. فالقصص و الخرافات و الحكايات الشعبية العجيبة التي كانت ترافق كرامات الأولياء و معجزاتهم اعتقاد سائد في عالم الرجل العامي.⁽¹¹⁾

رفعت البابوية شعار "حاربوا الإسلام أينما كان". و كان طرد المسلمين من الأندلس (1492)

و ملاحقة المسيحيين لهم في المغرب من الأسباب المباشرة التي ساهمت في ظهور الزوايا بصفتها قوى سياسية و اجتماعية خلال القرن الخامس عشر و بداية القرن السادس عشر. و أطرت هذه المؤسسات المغاربة، و دافعت عن البلاد و أنقذت الجزائر من فقدان هويته. و على هذا أساس هذه الأدوار التي أدتها هذه المؤسسات قد نتساءل: ما الخصائص التي ميزت هذه الزوايا؟ و كيف تم لها ذلك، و في أية ظروف؟ لاشك أن هذا موضوع آخر، لكن ما يمكن أن نلاحظه على امتداد المرحلة الاستعمارية الفرنسية، أن المستشرقين أحسنوا توظيف مثل هذه الشائعات و البرهنة عليها و إلصاقها بعلماء و فقهاء الجزائر في الفترة التي سبقت الاحتلال الأوروبي للثغور الجزائرية.

يستدعي الكلام عن الزوايا الوقوف عند المصطلحات المرتبطة بها: الرباط و الولاية و الكرامة.⁽¹²⁾

و نلاحظ أن هذه المصطلحات تندرج ضمن حقلين في دلالة المقدس: فبعضها يحيل على المجال كالزاوية و الرباط، و المصطلحات الأخرى تحيل على التعبد و العبادة و تشترك المصطلحات كلها في كونها ترتبط بالإنسان. و الملاحظ أن الأزمت التي عرفتها الجزائر خلال القرن الخامس عشر و مطلع القرن السادس عشر كانت من العوامل الأساسية التي أدت إلى ارتباط الجزائريين و تشبثهم بمؤسسات المقدس: الزاوية و الرباط و الولاية.

و الغالب على الظن أن الأمية كانت متفشية و الثقافة محصورة في قلة قليلة في المغرب الأوسط. و كان الناس على اتصال مباشر بالطبيعة، مع العلم بأن أسرار كثيرة تغيب عنهم. و كانت الظروف التي يعيشها الجزائريون صعبة من جراء الأوبئة و الجفاف و المجاعات و الهجمات الأجنبية. و رأى الناس في هذه المحن عقابا من الله و تشبثوا بالزوايا و آمنوا بكرامات الأولياء ورأوا فيها بصيص الأمل.

و جاءت كرامات الأولياء معبرة عن مشاغل العصر: فهذا الشيخ الهوراي.....ولهذه الكرامة، على ماي ظهر، ارتباط....الذي كان يعاني منه سكان وهران.. من خلال ما سبق، نلاحظ كيف تغيرت الولاية مفهوما وممارسة: فمن الولي الصالح التقي النقي المتفاني في عبادة الله استعدادا ليوم الميعاد، إلى الولي الذي أنتجته الأحداث التاريخية. لقد برز هذا الأخير لا كما سعت الكتابة الفقهية إلى تقديمه نظريا، بل برز إنسانا تاريخيا.

لقد وردت حادثة استرجاع وهران الأول(1708) فيما أورده الجامعي ، في شرح الحلقاوية قائلا: " وقد بلغنا أن الله تعالى اعتنى بتبشيرها ، وجعل بعض أوليائه يريد بشيرها، فرأى بعض الناجين فيها، ليلة الفتح المذكورة. الشيخ سيدي محمد الهوراي وهو يقول له: اصنع لي تابوتا يكون على قبري بوهران، وأنا الهوراي فقال له: يا سيدي ، إلى أن تفتح، فقال له: قد فتحت هذه الليلة."⁽¹³⁾ و لعله في هذه السياق يمكن وضع هذه الكرامات في ما رواه ابن مريم حول معرفة النبأ قبل حدوثه، و حادثة المرأة التي استعانت به في شأن ولدها،⁽¹⁴⁾ كما أوردت بعض المصادر مكاشفات الهوراي، و اطلاعه على الغيب، و هذا ما رواه ابن سعد في روضة النسرين.⁽¹⁵⁾ لقد ساد الاعتقاد في كرامات الهوراي و هي من الأباطيل التي أُلصقت بالشيخ الصوفي لا علاقة له بها.

ثانيا : حياة الهوراي و آثاره العلمية.

يعد الولي الصالح سيدي محمد الهوراي أحد أقطاب التصوف المغربي و أحد الأولياء البارزين في وهران، و قد نوهت المصادر بفضلها و علمه و أنه مستجاب الدعاء. كما وردت أخبار عن سيرته في كتاب(الثغر الجماني) و في كتاب (روضة النسرين)، بأنه ينتسب إلى قبيلة مغراوة في منطقة الشلف وأنه انتقل في طفولته إلى هوارة حيث بلاد بني شقران، والتي تدعى بقلعة بني راشد⁽¹⁶⁾. ولد الشيخ الهوراي سنة (751-843هـ/1350-1439م)، تلقى تعاليم الشريعة في الكتاتيب، ثم أخذ طريق الصوفية حسب ما ورد في المصادر⁽¹⁷⁾. و الجدير بالملاحظة أن هذه الأخبار التي وردت في مؤلف الراشدي منقولة، و شاعت في معظم الكتب التي روت عنه سيرة الهوراي.

ومعلوم أن الشيخ طاف بالبلاد شرقا و غربا يطلب العلم الشرعي و يلقي المشايخ و الأولياء و يأخذ عنهم المتون و الإجازات، فتوجه إلى بجاية سنة 767هـ، و تتلمذ على عبد الرحمن الوغليسي البجائي

(ت سنة 786هـ) وعلى أحمد بن ادريس البجائي. ثم ارتحل إلى فاس، فأخذ عن موسى بن محمد بن معطي العبدوسي(ت سنة 796هـ)، وعن أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن القباب(المتوفى سنة 778هـ)، كانت له دراية واسعة في علوم الدين والعقيدة، وبرع في التفسير والحديث والتصوف و علوم القرآن.⁽¹⁸⁾ للشيخ محمد الهوراي جملة من التأليف في شكل أنظمة بلسان العوام، منها: التنبيه و كتاب السهو وهو منظومة في الطهارة والصلاة. أما منظوماته في التصوف والأخلاق فهي: التسهيل و التبيان و تذكرة السائل.⁽¹⁹⁾

ثالثا : مقولة الهوراي حول السخط و الوعيد على وهران و احتلالها في ضوء الكتابات الفرنسية. من بين أكثر القضايا إثارة و جدلاً في تاريخ وهران و المدن الجزائرية عامة مسألة الأديعية الساخطة المستعملة على السنة العوام التي أُلصقت بها. لابس من التذكير بأن الباحثين في تاريخ الجزائر حول هذا الموضوع لطالما اشتكوا من شح المادة المصدرية ووقوفها حائلا دون الوصول إلى نتائج مرضية ، لذلك كان علينا العودة إلى الكتابات الفرنسية الإستشراقية خلال الفترة الاستعمارية، و ترتبط أساسا بموضوع التصوف، و المظان في حقيقة الأمر لا يخرج عن الطبيعة الفقهية-الصوفية.

إذا كانت الدراسات الإستشراقية التي حملتها المجالات خلال فترة الاستعمار، قد قاربت بشكل أو بآخر موضوع الأديعية الساخطة على الساكنة و مدن الجزائر و خاصة الغربية منها ، فإن الهدف من ذلك لم يكن رصد ما تعانیه الساكنة من هواجس الانتقام من الأولياء و المرابطين الصلحاء، بل ظل الهاجس في الغالب تبرير أسطورة الاستعمار بقابلية الاحتلال و التواجد الأجنبي. هكذا و على الرغم من افتقارنا إلى إشارات صريحة حول الموضوع، فإن المعلومات التي توفرت لدينا رسمت لنا صورة عن حالات و مناسبات شبيهة بحالة وهران. تتضح إذا محاولة هؤلاء المستشرقين الفرنسيين، إثبات الحقائق مدعمين بمنهجية سوسيولوجية و أنثروبولوجية.

1- والسين إسترهازي (Walsin-Estherhazy Louis Joseph Ferdinand) (20)

ضابط فرنسي (1807-1857) رافق معظم الحملات الفرنسية في الجزائر منذ دخوله إليها سنة 1832. ارتقى إلى رتبة جنرال في الجيش الفرنسي و مكث بالجزائر مدة ثمانية عشر سنة. اهتم بالتنظيمات العسكرية العثمانية بالجزائر. ترك كتابا قيما عن مخزن وهران تناول فيه المناطق الغربية

للجزائر و علاقة جيش الاحتلال بمقاومة الأمير و قبائل الدوائر و الزمالة و تعداد القوات الفرنسية بالمنطقة.⁽²¹⁾

يبقى كتاب إسترهازي "السيطرة التركية على أقاليم الجزائر" هو الإنجاز الأهم في تأريخ تطور الأدعية الساخرة و الساخطة في الجزائر خلال الفترة العثمانية من منظور ديني أنثروبولوجي استعماري ، حيث يشدد الضابط الفرنسي ، و عبر حشد كبير من التعابير و المقولات الساخرة ، على أن هذه الأدعية الساخطة انبنت تدريجيا على الذاكرة و الاعتقاد السائد زمنئذ في المتصوفة و الأولياء. و هذا يعني ضمن فرضية أن الأدعية الساخرة اعتمدت بدرجة كبيرة على عملية توارث الذاكرة الشعبية في مختلف المدن الجزائرية ، و هنا نلاحظ أن الضابط الفرنسي خص هذه الظاهرة في مجال جغرافي يتمثل في الغرب الجزائري كخط يلامس فيه ثقافة الجزائريين و اعتقاداتهم الساذجة في المتصوفة عن طريق السخرية. و من الأمثلة التي ذكرت في الكتاب :

- مازونة: " يحجو بكبارهم بصغارهم و تأكلهم النار بترابهم بحجارهم".
 - تنس: " تنس مبنية على دنس ، ماها دم هواها سم و الله بن يوسف مايبات ثم"⁽²²⁾.
 - مستغانم: " أهل مستغانم مطلعين البلغا على حس المضغة".
 - بنو عامر: " دمر عليهم الله نبوح الوسط بنو دمار".⁽²³⁾
 - شلف: " خير الأوطان تخلي بعد العمارة و تصير دكان و يعمرك الفرانصيص النصارى".
 - المتيجة: " متيجة بقرة سمينة و شحمها للقسيس لولها للترك و أخر للنصارى".⁽²⁴⁾
 - البليدة: " الناس قالو لك البليدة ، أنا سميتك وريدة".⁽²⁵⁾
- كثيرة هي المدن التي ذكرها مثل تلمسان و معسكر و المدينة. و السؤال الذي يظل قائماً لماذا ركز هؤلاء الضباط على المعتقدات الساخرة للجزائريين على الساكنة و المدن؟.

2- أوغست قورقوس (Auguste Gorguos).

رافق المستعرب الفرنسي قورقوس جميع حملات المارشال كلوزيل (Bertrand Clauzel)⁽²⁶⁾ على حواضر الجزائر منذ 1836. تقلد مناصب سامية في مؤسسات الدولة الفرنسية بالجزائر، انتدب لتدريس اللغة العربية بالجزائر حيث تعلم مبادئها على يد برزيني (Louis Jacques)

(Bresnier)⁽²⁷⁾ ، ثم عمق معرفته باللغة في معهد الدراسات الشرقية بباريس. اختص في تحقيق ودراسة المخطوطات العربية إلى جانب المستعرب شيربونو (Jacques – Auguste Cherbonneau) منذ 1850، كما يعد من المترجمين البارزين و أحد مؤسسي الجمعية التاريخية الجزائرية . نشر عديد المقالات في المجلة الإفريقية ما بين 1856-1861.⁽²⁸⁾ وقد انتدب قورقوس من طرف إدارة الاستعمار لتولي كرسي اللغة العربية بقسنطينة منذ تأسيسه سنة 1857.⁽²⁹⁾ لقد خصصت دراسات قورقوس فقرات مهمة للحديث عن سيدي محمد الهوراي. وقد عبر قورقوس في دراسته (ملاحظات حول باي وهران محمد الكبير) عن مؤثرات الهوراي في ساكنة وهران من خلال الكرامة و الولاية و دعوته حول تسليط المحتل الإسباني على وهران و بقاءه فيها مدة طويلة تقارب قرنين و نصف (1505-1708/1732-1792)، و أشار إلى كتاب حزب العارفين ، الذي استند حسب قورقوس على روايات معاصرة تشير بأن الهوراي باع وهران للكفار، انتقاما لمقتل ولده، و أنه ترك ابنا أخر اسمه عبد الرحمن بن حامد و ذريته التي لقيت التبجيل و التقديس من لدن ساكنة وهران.⁽³⁰⁾

3- هنري فاي (Fey, Henri)

ليس من قبيل الصدفة أن يؤرخ هنري فاي لوهران ويتناول تاريخها مع التركيز على الاحتلال الإسباني للمرسى الكبير و مناطق وهران من دون الحديث عن سيدي محمد الهوراي ، و إصاق تهمة الدعاء عليها و قابلية وهران و ساكنتها للاحتلال. و كأن ذلك قضاء و قدر و نهاية العالم حسب تعبير فاي.⁽³¹⁾ يتميز كتاب فاي(وهران قبل ، بعد، أثناء الاحتلال الإسباني) ، بأنه كتاب محوري يعتمد على مخطوط إسباني يعود تاريخه إلى سنة 1732، و هو مهندس و محافظ مدني بوهران، و كان عضو مراسل للجمعية التاريخية الجزائرية.

4- إدمون ديستانغ. (Destaing, Léon Edmond)

عاش إدمون ديستانغ خلال الفترة الممتدة ما بين (1872-1940)، و شهد ما أنجزه الاستعمار الفرنسي في الجزائر. و في مضمار هذا التطور في المعرفة العلمية و الحضارية حسب المفهوم الاستعماري. مارس التبخر في التنقيب و التحقيق في تراث الجزائر الديني و الصوفي، و هذا بحكم طبيعة عمله، إذ

يعد من رواد تدريس اللغتين العربية و الأمازيغية بمعهد الدراسات الشرقية بباريس، و قد تتلمذ على يد الشيخ بلقاسم بن سديرة⁽³²⁾ الذي مكنه من معرفة اللغتين. درس ديستانغ بمدرسة الجزائر الرسمية (1894-1902)، ثم انتقل إلى التدريس بمدرسة تلمسان في عهد إدارة وليام مارسيه (Marçais William)⁽³³⁾، ثم ألفرد بيل (Alfred Bel)⁽³⁴⁾.

اهتم ديستانغ باللغات المحلية و تراث الجزائر الصوفي فتجول في كامل إقليم الغرب الجزائري بين أحضان قبائله. وقد كتب بحثاً مطولاً عن شخصية سيدي محمد الهواري . ينطلق الباحث الفرنسي من موقف الكتاب الفرنسيين حول الأدعية الساخطة و الساخرة على سكان و مدن الجزائر خلال الفترات التي سبقت الاستعمار الفرنسي للجزائر. إذ يضع الباحث ثباتاً شاملاً للدراسات و المصادر التي تناولت بالبحث و الدرس شخصية الصوفي سيدي الهواري. ويبدو أن نظرية ديستانغ في هذا البحث أنها تتأرجح بين الأطروحة الاستعمارية و هي حتمية الاستعمار و بين دور إرادة البشر في تقبل الاحتلال من خلال الاعتقاد في كرامات الأولياء و عملية تدخل في إطار الإنتاج الاجتماعي للأفكار المتوارثة عبر الأجيال عن طريق الروايات التي تصبح تاريخ حديثي موثق . استجمع ديستانغ نصوص الذاكرة التاريخية من طبقات المصادر المغربية، و بين باحث درب على طرائق الإستشراق الفرنسي ورواده، و لاسيما مدرسة الجزائر و باريس. قدم ديستانغ نفسه في جهده التوليقي و التوثيقي هذا، مؤرخاً لظاهرة التصوف الجزائري من خلال شخصية سيدي محمد الهواري، فعبّر عن هذا الموقع في بحثه (قديم مسلم في القرن الخامس عشر: سيدي محمد الهواري)⁽³⁵⁾.

في معرض حديثه عن شخصية الصوفي محمد الهواري وعلاقته بوهران، استوقفنا عند أهم المصادر الخيرية التي تناولت حياته و ألقابه و تربيته و دراسته و رحلاته، لكن ما يمكن أن نلاحظه على امتداد ترجمته للشيخ أنه يعتمد كلية على ابن سعد في روضة النسرين. و كشف لنا بأنه دفين و هران هو مزار مقدس من الساكنة كولي من أولياء الله الصالحين ، تقام له الزيارة كل يوم سبت لأنه توفي في مثل هذا اليوم، وهو مقصد النساء من الجزائر و المغرب، و عند دخولهن يرددن المقاصد التالي:⁽³⁶⁾ و في كل سنة من شهر سبتمبر تقام وعدة الولي التي يحضر فيها السكان القادمين من كل حدب و صوب ، فيستقدمون أمتعتهم و يحضرون وجبات الكسكس، و تستعرض الفانتازيا و الفروسية و ينتشر القوالة في

الطحطاحة لسرد قصص عن كرامات الولي و معجزاته. ومن خلال كتاب (بساط الملوك) فإن الولي ترك أربعة أولاد : الجيلالي- أحمد- عبد الرحمن- محمد، الذي أمر بقتله و دفن بوهران.⁽³⁷⁾

تكشف لنا الروايات التي سجلت في المصادر عن المكاشفات و الكرامات التي نسبت إلى سيدي محمد الهوراي، إلا أن معظمها أخذ عن البستان لابن مريم⁽³⁸⁾. ويمكن تلخيصها فيما يلي :

- اطلاعه على نوايا الأفراد.
- يجيب عن الأسئلة ببداهة مطلقة و كأنه يعرف السائل مسبقا. " و يجيبه عما في ضميره، حتى العلماء يعضل عليهم فهم النوازل"
- اطلاعه على الأمور الغيبية : " ما تأتي به السفن من الفواكه إلى ميناء وهران يعلمه قبل وصوله".⁽³⁹⁾
- رؤية أحد النجارين ليلة فتح وهران " رأى أحد النجارين، الشيخ سيدي محمد الهوراي و هو يقول له : اصنع لي تابوتا يكون على قبري بوهران، و أنا الهوراي فقال له : ياسيدي ، إلى أن تفتح، فقال له : قد فتحت هذه الليلة".⁽⁴⁰⁾
- إخبار سيدي الهوراي بوفاة السلطان أبو فارس الحفصي الذي حاول غزو تلمسان في عهد حاكمها أحمد.⁽⁴¹⁾
- حادثة المرأة التي استغاثت به في شأن ولدها، الذي كان أسيرا في بلاد النصارى، فأطلقت نصرانية ابنها و افتكته من الأسر، و هذا بفضل مناقب الشيخ الولي سيدي محمد الهوراي .⁽⁴²⁾
- دعاء الشيخ على وهران و تسليم وهران للكفار النصارى، و هذا بعد 72 سنة أي في سنة 914هـ/1509م. " لم يدفن (الشيخ) بسيدي مسعود بتارقة أو بسيدي سعيد بشافع(المالح)، فإن ذلك من خرافات العامة... و لم يدخل النصارى الإسبانيين في حياته و إنما دخلوا بعد وفاته باثنين و سبعين عاما...".⁽⁴³⁾

5- لويس بياس (Louis Piesse)

يعد كتاب بياس(1815-1890) من الكتب البيبليوغرافية التي اهتمت بتاريخ و جغرافية و حضارة الجزائر منذ القديم،⁽⁴⁴⁾ و هو عمل تكميلي لما قام به الحاكم العسكري لإقليم وهران الجنرال بروسار(Brossard) سنة (1837-1840)، حيث جمع المعلومات و المعطيات من خلال الكتب و

المقالات و الجرائد و الرحلات و تقارير الجيش و الإدارة الاستعمارية ما بين 1840-1882. نشر بياس الكتاب لأول مرة سنة 1860، ثم نقحه و طبع في سنة 1882. أشار بياس إلى خضوع وهران مند سقوط الدولة الموحدية سنة 667هـ/1269م ، إلى عدة دول منها المرينيين و بنو عبد الواد و الحفصيين ثم إقامة ملك غرناطة بها مولاي محمد، ثم عودة الحفصيين إليها سنة 841هـ/1437م،⁽⁴⁵⁾ و كشف بياس بأن وهران و في مدة نصف قرن خضعت لحكم دول مختلفة ما بين (761هـ-1380-841هـ-1737م).⁽⁴⁶⁾ يعد كتاب (مسار الرحلة في الجزائر) ، من الدراسات الفرنسية الأولى التي أشارت إلى الدعاء الساخط على وهران الذي انتسب إلى وليها سيدي محمد الهوراي، كان الدعاء سبب وقوعها بين يرائن الاحتلال الإسباني ، إذ وقع المرسى الكبير عام 1505، و وهران عام 1509. ثم الاحتلال الثاني لوهران في 30 جوان 1732 (1206هـ). في عهد الملك الإسباني فليب الخامس (1683-1746).⁽⁴⁷⁾

6- رونيه باصي (René Basset)

كبير المستشرقين الفرنسيين (1855-1924) ومدير مدرسة الآداب في الجزائر حوالي أربعين سنة وهذا منذ 1880.⁽⁴⁸⁾ كان في خدمة الإستشراق الفرنسي في الجزائر طوال هذه الفترة، حيث سخر لخدمة الإدارة الاستعمارية بكل حرص وجهد. وجند الفرنسيين والجزائريين معاً ووظفهم للتدريس والبحث و التأليف و النشر، أستاذ اللغتين العربية و الأمازيغية بامتياز. كانت الحكومة العامة تسانده بالمال للقيام بأبحاثه وأبحاث تلاميذه وبعثاتهم ورحلاتهم. توجته الإدارة سنة 1905 برئاسة مؤتمر المستشرقين الدولي 14 في الجزائر. كان باصيه يتقن عدة لغات فعمل أستاذا بمدرسة الآداب بالجزائر سنة 1885 ثم عين مديراً لها سنة 1894، ليصبح عميد كلية الآداب بجامعة الجزائر سنة 1911. ترك إنتاجاً غزيراً لاسيما في الدراسات العربية و البربرية وقد ترجمت أعماله تكريماً له من طرف تلاميذه و أصدقائه⁽⁴⁹⁾. كان باصي يتجول في الجزائر بحثاً عن المكتبات و المخطوطات. وهي عدة المستشرقين، وقد ترك وصفا لفهارس المكتبات في بعض الزوايا و المناطق ومنها بعض المناطق في الصحراء الجزائرية⁽⁵⁰⁾.

ركزت أعمال باصي حول المخطوطات العربية بشكل خاص، وهو ما لاحظناه في معظم دراساته. كما اهتم باصيه بالمخطوطات العربية لزواية الهامل ببوسعادة، ومخطوطات مكتبات الزاوية التجانية في عين ماضي وتماسين وورقلة، ومخطوطات الباش أغا الجلفة، ومكتبات وادي ميزاب. ترك باصي وصفا لمكتبة الهامل التي اعتمد عليها جل الدارسين للمخطوطات، وساعده في ذلك تمتعه بالنفوذ لدى الإدارة الاستعمارية، وقد طلب باصيه من شيخ الزاوية عندئذ، محمد بلقاسم، قائمة المخطوطات التي بالزاوية، عن طريق وساطة الجنرال كولبي ميغريه (Collet - Meygret) قائد وسط الجزائر.⁽⁵¹⁾ قد أشار المستعرب الفرنسي باصي بأن بحثه حول الأقوال والأدعية الساخرة، الساخطة على المدن والقبايل الجزائرية في الفترة التي سبقت الاحتلال الفرنسي، ماهي سوى تقليد يندرج ضمن الأدب الشعبي المعروف عند الشعوب السامية، فهو عبارة عن أدعية توبيخية، ربطها المستعرب بتراث التوراة. لقد وردت هذه المقولات لأول مرة عند الضابط الفرنسي إسترهازي الذي جمع 59 مثل،⁽⁵²⁾ ثم أكملها باصي في 115 مثالا.⁽⁵³⁾

ومما ورد في هذه الدراسة أنه قدم عرضا شاملا للتصوف في بلاد المغرب وركز على الجزائر عبر سلسلة الشيوخ. إن الخلاصة التي تسجل لنا من خلال تتبع ماكتبه المستعرب باصي في هذه الدراسة أنه ربط الويل والدعاء الساخط على وهران و ما جاورها من خلال حادثين للوليين صالحين هما أحمد بن يوسف دفين مليانة و سيدي محمد الهوارى ، فالهوارى دعا بسبب مقتل ابنه، و أحمد بن يوسف بسبب سجنه من طرف أبو حمو الثالث الذي هادن الإسبان، و تعرض لسخط سكان تلمسان، فهرب و احتفى بالإسبان.⁽⁵⁴⁾ من الأدعية الساخطة الذي ساقها باصي حول إقليم وهران:⁽⁵⁵⁾

- رقم1: بني وراغ، رغت منهم الأنبياء و الأولياء.
- رقم2: بني عامر دايرتكم يهود، و دراهمكم دية موجود(بسبب تحالفهم مع الإسبان).
- رقم7: أهل غمرة، القوم مرة، صرهم في صرة، و اقطعهم في مرة، تريح من ذيك الجرة.
- رقم25: مستغانم، مسك الغنايم، إلى دخلها شهيد، و ظالمها ما يموت كيف يريد؟(الصوفي سيدي عبد الرحمان أبو حميد سنة 1559)

رقم 27: وهران الفاسقة، بعثك ببيع الموافقة، النصارى ثم لقا إلى يوم البعث و اللقاء (سيدي محمد الهوراي).⁽⁵⁶⁾

من الواضح أن الدعاء الساخط لسيدي الهوراي شمل سلاطين بني زيان بسبب مقتل ابنه ظلما و عدوانا، و قد نظم أحد مريديه (علي الأصغر التلمساني) شعرا حول وهران ، كما قام المترجم العسكري أنطوان أرنو(Antoine Arnaud) (1835-1910) بنشر القصيدة في المجلة الإفريقية تباعا: العدد 25(1881)، العدد 26(1882)، العدد 27(1883)، العدد 28(1884).⁽⁵⁷⁾

رقم 28: وهران الفاسقة، يدخلوها الدراهم كالحشيش، و يطيرو كالريش.

7- إدمون دوتي.(Edmond Douuté)

انطلاقا من تصريح إدمون دوتيه (1867-1926) في إحدى وراقاته حول العمل العلمي لمدرسة الآداب بالجزائر: "إن الاستشراق هو بالطبع الحقل الرئيسي للدراسات في مدرستنا، ومن داخل الاستشراق تأتي اللغة العربية و المسائل الإسلامية".⁽⁵⁸⁾ وإذا بحثا في المهدات التاريخية للاستشراق ومحور مدرسة الآداب بالجزائر فإنها أثرت بشكل كبير على الدراسات الاستشراقية الفرنسية.

يعد دوتي من كبار الإثنوغرافيين الفرنسيين في المغرب العربي، فقد شغل منصب إداري بالبلديات المختلطة بإقليم قسنطينة منذ دخوله الجزائر عام 1887، غير أنه مارس مهنة التعليم في المدرسة الشرعية بتلمسان سنة 1898، وقام بمهمات علمية استكشافية إلى المغرب بأمر من السلطات الاستعمارية ما بين 1899-1906. وقد اهتم بالدعاية الإسلامية لصالح فرنسا خلال الحرب العالمية الأولى، و حارب أفكار الجامعة الإسلامية بفرنسا مع مراقبة نشاط المهاجرين المغاربة منذ 1924. على أن الواصل بين مهنته في البحث جعلته يوظف معرفته العلمية لصالح الإدارة الفرنسية بكل تفاني. نشر دوتي جل أعمال حول التصوف و المذاهب في الجزائر، و تناول تاريخ الحركات المذهبية و الطرق الصوفية جغرافيا و رصد تحركاتها و مواردها المالية انطلاقا من أبحاثه التنقيبية و الميدانية، كما ركز على الإيديولوجية الدينية.⁽⁵⁹⁾

اهتم المستعرب الفرنسي دوتي بالدين الإسلامي و بالعقيدة و خصائص الإسلام بالجزائر من خلال المرابطين و الطرق الصوفية و أعيادهم و مواسمهم الدينية، كما ركز على تأطير الإدارة الاستعمارية للدين

الإسلامي طول فترة الاحتلال.⁽⁶⁰⁾ تناول كتابه : (ملاحظات عن الإسلام المغربي و المرابطون)⁽⁶¹⁾ ،
الدعوة الساخطة لسيدي محمد الهواري على وهران و تسلط الاحتلال الإسباني عليها بعد وفاته .
يخلص الباحث الطاهر بونابي في كتابه حول التصوف في الجزائر أن المهتمين بدراسة تاريخ
التصوف في المغرب الأوسط خلال القرنين 6-7هـ/12-13م، لم يعيروا الكرامات الصوفية أدنى
قيمة ، و اعتبروها ظاهرة سلوكية مرتبطة بقوى غيبية ، و مشاهدات و مكاشفات سحرية و خرافية ، بينما
هي في حقيقة الأمر واقع أفرزته الظروف التاريخية على مناحي الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و
السياسية . و استدلل بقول ابن القنفذ القسنطيني(ت 810هـ-1407م) ، في قوله : " لا ينكر الكرامة إلا
معاند محروم سبئي الاعتقاد و كثير الانتقاض".⁽⁶²⁾ أما الونشريسي(ت 914هـ-1508م) ،فقال في
شأنها: " بأنها فعل خارق للعادة تظهر على يد عبد صالح في دينه متمسك بسنة الله في جميع أحواله
من غير ذي التنبؤ".⁽⁶³⁾

كان المستشرقون الرائد الناصح و المستشار المعين للإستعمار في كل المجالات ، و لم تكن بحوث هؤلاء
في الإسلام و تاريخ الشعوب و حضاراتهم إلا التحريف و التزييف و التلاعب بعقيدة الإسلام و تشويه
صورة الدين و الأمة ، و إحدات الثغرات في الصفوف بعد التوحيد ، و كان همهم الوحيد من وراء البحث
و تقصي الحقائق هو الخداع و الاحتيال باسم الحضارة و الإنسانية .
و الحصيلة ، مثلت مسألة الأدعية الساخرة و الساخطة الناقمة على مدن الجزائر و سكانها أساس
الجدل في الكتابات الإستشراقية الفرنسية ، التي حاولت التأكيد على صحة المقولات و نسبتها إلى شيوخ
و علماء أجلاء في التصوف . فمن خلال ما سبق يبدو أن هؤلاء حاولوا إلصاق مثل هذه الاعتقادات في
ذاكرة العلماء ، الذي كانوا يحثون على ترك البدع ما ظهر منها و بطن ، و الاستنارة بالعلم الصحيح و
التحلي بالعمل الصالح . تعامل المستشرقون مع التراث الجزائري بعد الاطلاع على فهرسه ، في شكل
أبحاث و ملاحظات و انطباعات ، بالنقل و النسخ و الترجمة و المقارنة و المقابلة بين نصوصه ، و
باقتطاع الوثائق و المقتطفات التاريخية ، و التعرض لها بالشرح و التعليق و التعييب . لعل أو ما يعاب
على الفعل الإستشراقي في مجال التاريخ ، استمرار وفائه لقاعدة تعامل الإستشراق من حيث تغيير
المصطلحات و تكييفها مع الثقافة الغربية .

لقد أكبر القرآن الكريم العقل، و اعتبره أساسا للتفكير بخلق الإنسان، و السموات و الأرض، و دليلاً للإيمان، و في الوقت نفسه ذكر الأنبياء معجزات خارقة للعادة، و ذكر القرآن كرامات الأنبياء، لذلك فرق علماء الكلام بين المعجزة و الكرامة، بأن يشترط فيها التحدي. و خير ختاماً لورقتنا هذه، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ إِيْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الأنفال آية 32-33]

الهوامش:

* ورقة قدمت في أعمال الملتقى الوطني حول الولي الصالح محمد بن عمر الهواري: حياته و آثاره، من تنظيم مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، جامعة وهران 27، 1-28 فبراير 2017.

(1) المدونة الفرنسية التي اهتمت بشخصية العالم محمد الهواري تمثلت فيما يلي:

- M.walsin ,Esterhazy, De la domination turque dans l'ancienne régence d'Alger, Paris, libraire de Charles Gosselin,1840.
- Gorguos, Auguste, « Notice sur le bey d'Oran, Mohammed el-Kebir »,In, RA,n°1,1856,pp.454-463.
- pendant et après la domination Espagnole, avant, Fey, Henri Léon, Histoire d'Oran, Adolphe Perrier,1858.
- oran, Piesse, Louis, Itinéraire de l'Algérie, de Tunisie de Tanger, Description matérielle, Paris, Hachette, 1882, pp.182-329.
- Destaing, Léon Edmond, « Un saint musulman au XVe siècle : Sidi Mhammed El-Haouari »,In, Journal asiatique,n°,Sept-Oct,1906,pp.295-342/395-438.
- Douuté, Edmond, Notes sur l'Islam Maghribin : Marabouts, Paris, Ernest leroux,1900,p.60.
- René, « Les dictons satiriques attribués à Sidi Ahmed ben Yousof »,In Basset, ,journal asiatique,t.XVI, Sep-Octobre,1890,pp.203

(2) إن سقوط غرناطة سنة 1492م، قد عجل بانطلاق الطاقات الإسبانية نحو مغامرات ما وراء البحار. و قد كانت إفريقيا على قربها الشديد الاختيار المنطقي الأول في هذه الاستراتيجية. و في الوقت نفسه فإن هجرة الموريسكيين قد خلقت التآزم و وفرت سببا لتعليل التدخل الإسباني. تتمثل أهداف هذا الاحتلال في قطع الطريق أمام الأندلسيين الفارين و عزلهم داخل إسبانيا. كما يتضمن برنامج الإسبان بعد هذا الاحتلال في تعمير هذه المدن بالإسبان و جعلها مدنا مسيحية. للمراجعة ينظر:

Fernand, Braudel, « les Espagnols en Afrique du Nord de 1492 à 1577 », in R.A, n°49, 1928, pp. 184-233 / 351-428.

Elie, de la primaudi, « Documents inédits sur l'histoire de l'occupation , PP. 136-150. Espagnols en Afrique (1516-1574) », in, R.A , n°20, 1876

و أيضا: محمد، دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر و دور الإخوة بربروس (1512-1543)، ط2، الجزائر: شركة الأصاله للنشر و التوزيع، 1434هـ/2011م.

(3) ابن زرقفة، مصطفى بن عبد الله الدحاوي، الرحلة القمرية، (تحقيق: مختار حساني)، منشورات مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر، 2003.

(4) المازري، الأغا بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و اسبانيا و فرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، (تحقيق و دراسة: يحيى بوعزين)، طبعة خاصة، الجزائر، عالم المعرفة، 2009، جزآن.

(5) الراشدي، أحمد بن محمد بن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، (تحقيق و تقديم: الشيخ المهدي البوعبدلي - اعتناء: عبد الرحمن دويب)، طبعة خاصة، 2013، الجزائر، دار المعرفة العالمية.

(6) الزباني، محمد بن يوسف، دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران، (تحقيق و تقديم: الشيخ المهدي البوعبدلي - اعتناء: عبد الرحمن دويب)، طبعة خاصة، الجزائر: دار المعرفة الدولية، 2013.

(7) دليل الحيران ، ص ص 60-61.

(8) أبو العرب محمد أحمد ، التميمي، كتاب المحن (تحقيق: يحيى وهيب الجبوري)، ط3، بيروت: دار الغر بالإسلامي، 1427هـ/2006م.

(9) مسند أحمد 4/ص ص 408-410، فيض القدير 185/2.

(10) ابن مريم، محمد بن أحمد المديوني، البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان، (اعتناء و مراجعة: محمد ابن أبي شنب)، الجزائر: المطبعة الثعالبية، 1326هـ/1908م.

(11) رندال، جون هرمان، تكوين العقل الحديث، (ترجمة: جورج طعمة)، ط2، بيروت: دار الثقافة، 1965، ج1، ص ص 69-77.

(12) قدم الشيخ عبد الكريم الفكون المتوفى عام 1073هـ/1662م، جملة من النصائح العامة في كتابه منشور الهداية، و أكد على ضرورة التخلص من الشعوذة و الخرافة و الاعتقاد في المتصوفة الخارجيين عن شريعة الإسلام، و كانت هذه

الظاهرة متفشية في أوساط المجتمع الجزائري طوال الفترة العثمانية، و التي استغلها الفرنسيون فيما بعد. و قد ترجم الشيخ ل 73 شخصية صوفية. حول هذا الموضوع يراجع: عبد الكريم، الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم و الولاية، (تقديم و تحقيق و تعليق: أبو القاسم سعد الله)، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1408هـ/1987م.

- (13) Destaing, Léon Edmond, op.cit,p.425. و أيضا : أغصاي، علي، شرح أرجوزة الحلقاوي في فتح مدينة وهران للشيخ أبي زيد عبد الرحمن الجامعي الفاسي (1087-1144هـ/ 1677-1734م)، جامعة عبد المالك السعدي، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، تطوان 2012.
- (14) ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 231-232.
- (15) ابن سعد، محمد الأنصاري التلمساني، روضة النسرین في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، (مراجعة و تحقيق: يحيى بوعزین)، طبعة خاصة، 2009، ص ص 35-47.
- (16) ينظر: ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص ص 461-463. / أيضا: بنو شقران في دائرة المعارف الإسلامية ، ط2، بريل، ج 4، ص 510. حول حياة الشيخ سيدي محمد الهوراي ينظر: ابن سعد، ص ص 35-47.
- ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 228-236 - الثغر الجماني، ص ص 461-472- دليل الحيران، ص ص 60-61. - المازاري، ج 1، ص ص 70-76.
- (17) الثغر الجماني، ص 462.
- (18) لاشك أن مكونات شخصية الهوراي العقدي تبدو من خلال رسالة : عقيدة الإمام أبي عبد الله محمد بن عمر الهوراي نشرها: نزار حمادي ، بدون تاريخ، 28ص.
- (19) عبد الحميد ، حاجيات ، " سيدي محمد الهوراي، شخصيته و تصوفه"، مجلة الثقافة، الجزائر: وزارة الثقافة و السياحة، العدد 88، جويلية- أوت 1985، ص ص 77-88.
- (20) Walsin ,Esterhazy, op.cit,pp.164-229.
- (21) Walsin, Esterhazy, Notice historique sur le Maghzen d'Oran, Oran 1849.
- (22) وُلد الشَّيْخُ أحمد بن يوسف الراشدي الميلاني سنة 840هـ - 1437م، وقيل سنة 836هـ، في دامود أحد قصور توات ، أخذ عن علماء تلمسان ووهران، ثم انتقل إلى بجاية حيث تتلمذ على الشَّيْخِ أحمد زروق، وأخذ عنه عهد الطَّريقة الشاذلية، وسلك على يديه. تذكر بعض المصادر أنه ساج في الأرض لمدة تزيد عن 15 سنة بفاس وتلمسان وتاهرت وفجيج، ثم انتقل إلى الزاب وبلاد الجريد والقبروان وطرابلس والإسكندرية والقاهرة وجدة، وحج وأقام بمكة، ومنها انتقل إلى المدينة المنورة حيث أقام هناك سنة كاملة. وبعد هذه الرحلة العلمية والرَّوحية عاد إلى بلاده ينشر العلم والطريقة معاً، فأسس زاويته بـ"رأس الماء" بوادي الشلف، درس بها مختلف العلوم الشَّرعية، وكوّن فيها المريدين، وسرعان ما عرف شهرة واسعة في المنطقة والمناطق المجاورة، وعرفت طريقته "اليوسفية" شهرة وسمعة كبيرتين، في مختلف أرجاء المغرب الإسلامي، وعمّ نفوذه الصحراء الجزائرية والمغرب الأقصى، وكوّن عدد من أتباعه جماعة تسمى بـ"الشَّرَاقَة" أو "اليوسفية توفي الشَّيْخُ بالقرب من مدينة مليانة في سنة 931هـ-1524م، ودفنه ابنه محمد بن مرزوق في مدينة مليانة. يعتبر أحمد

- بن يوسف الملياني من الشخصيات الصوفية البارزة في القرن السادس عشر الميلادي في الجزائر، واشتهر بمواقفه السياسية الجريئة التي جعلته يعارض تحالف بقايا الزيانيين مع الإسبان، مفضلا الوقوف إلى جنب الأتراك العثمانيين. للمزيد يراجع: بو القاسم محمد، الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ط1، دمشق: مؤسسة الرسالة، 1982، ص 103. (23)
- حول بعض البطون المتعاونة مع الإسبان أثناء تواجدهم بوهرا و المرسى الكبير يراجع: حنيفي، هلايلي، " عملاء و جواسيس الإسبان في بايليك الغرب على ضوء بهجة الناظر"، مجلة الحوار الفكري، العدد7، ذو القعدة 1426هـ/ديسمبر 2005م، جامعة منتوري قسنطينة، ص ص 143-146. (24)
- الجزائر كان قدرها أن تصبح خاضعة للوجود العثماني التركي ثم الاستعمار الفرنسي حسب التحليل الأنثروبولوجي الاستعماري. (25)
- الولي سيدي أحمد الكبير الأندلسي أيد خير الدين بربروسة، و أصبح محل تقدير من قبل سكان البلدية. كان لقائه بخير الدين سنة 1535، وطالب ببناء المدينة و إسكان اللاجئيين الموريسكيين بها. وبذلك أصبحت البلدية عاصمة المتيجة. وظلت المدينة قاعدة عسكرية مهمة للعثمانيين أثناء وجودهم بالجزائر، و دعا بهذا الدعاء سيدي أحمد الراشدي الملياني (1437-1524)، و قد بنى له محمد الكبير باي وهران ضريح وزاوية، ينظر: Le colonel.C.Trumelet,Blida récite selon légende, la tradition et l'histoire, Alger, Adolphe Jourdan,1887.pp.521-547. (26)
- تقلد كلوزيل مهام القائد العام للقوات الفرنسية بالجزائر مرتين الأولى ما بين 1830-1831، و الثانية ما بين 1834-1837. (27)
- يعتبر بريزيني(1814-1869) أحد الشخصيات التي حررت بيان الجيش الفرنسي عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر. (28)
- نشر قورقوس 26 دراسة في المجلة الإفريقية (Revue Africaine)، في 6 مجالات أهمها التاريخ و المنوغرافيات. (29)
- Berbrugger (A.), « M. A. Gorguos», In, RA n°11, 1867, pp.90-92. (30)
- Gorguos, Auguste,op.cit,pp.460-463. (31)
- Fey, Henri Léon,op.cit,pp.51-52. (32)
- بلقاسم بن سديرة (1845-1901) تجنس سنة 1866، عمل أستاذ اللغة العربية و القانون بمدرسة الجزائر الرسمية ما بين (1869-1880). ساهم في إنجاز معاجم اللغتين العربية و الفرنسية.

- (33) مستشرق فرنسي (1872-1956)، مختص في اللغتين العربية و الأمازيغية اهتم بالتاريخ و الفن الإسلامي درس بمدرسة تلمسان الرسمية.
- (34) دخل ألفريد بيل (1873-1945) الجزائر سنة 1891 ، مستعرب من الطراز الأول اهتم بالتاريخ الديني و الأنثروبولوجيا
- و المنوغرافيات. درس بمدرسة تلمسان الرسمية ثم أصبح مديرا لها منذ 1905. تقلد مهام مدير مدرسة تلمسانمدة 30 سنة. ينظر:
- Émile, Janier, « Alfred Bel (1873-1945) »,In, Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran, vol. 65, 1944, p. 66-76.
- (35) Destaing, Léon Edmond, op.cit, p.295.
- (36) ياسيدي الهواري قصدت و قصدت بلادك ترزقني من الكرامات المسلمة باش نفوز على إلا يبغضنا و يبغض أولادنا ترزقهم هم. ياسيدي الهواري أنت ولي ، أنا عبد الله أكرمني بهذه الحاجة بجاه النبي الشفيح.
- ياسيدي الهواري أنا جيت لعندك باش تفتح علينا و تفرح أحبانا ، ياسيدي الهواري أنت معجزة عليك أوراقك غالية جيتك باش تفرحني و تهينيني من عذاب الدنيا و ترحميني بها في الآخرة. ينظر:
- Destaing, Léon Edmond,op.cit, p.336
- (37) Destaing, Léon Edmond, op.cit, p.338.
- (38) ابن مريم، البستان، ص ص 229-230.
- (39) الثغر الجماني، ص 463.
- (40) Destaing , op.cit., p.426.
- (41) أبو فارس عبد العزيز المتوكل من مواليد قسنطينة (1361-1434)، حكم الدولة الحفصية فيما بين عامي (1394-1434)، تمكن من احتلال تلمسان عاصمة الزيانيين سنة 1424، ونصب عليها حاكما مواليا للحفصيين.
- وكان هذا في عهد السلطان الزياني أبو العباس أحمد بن أبي حمو.
- (42) Destaing , op.cit., p.412.
- (43) Ibid,p.437.
- (44)
- Piessé, Louis, Itinéraire de l'Algérie, de Tunisie de Tanger,
Description matérielle, Paris, Hachette, 1882
- (45) قدم الكتاب معلومات غزيرة عن تاريخ وهران منذ القديم، وركز على الاحتلال الإسباني لها و علاقة سيدي محمد الهواري بذلك. أعطى صورة لنظام الحكم العثماني للمنطقة بـ 33 باي إلى غاية الاحتلال الفرنسي ،الذي دخل وهران

يوم 4 جانفي 1831 و نصب الجنرال فودوس (Faudos) لإدارة وهران في 17 أوت 1831. كما أشار إلى أهم الحكام العسكريين لإقليم وهران ما بين (1831-1861): Boyer- Esterhazy- Desmichels- Trézel- De Lamoricière- Cavaignac-Pélessier- Deligny. Piesse, Louis, op.cit., pp.182-329 (46)
احتل بنو مرين تلمسان الزيانية مدة 12 سنة (1337-1348) ثم حررت في عهد عثمان الثاني (1348-1352)، ثم أعاد المرينيون احتلالها (1352-1358)، فأعاد أبو حمو موسى الثاني ملك بني زيان (1359-1389)، ثم عاد المرينيون من جديد (1388-1392). أما الحفصيون فقد احتلوا تلمسان وأجلسوا سلاطين تابعين لهم، في عهدي أبو فارس (1394-1434)، و عثمان (1435-1488). و ما تجدر الإشارة إليه، أن مؤسس الدولة يعمراسن خاض 72 غزوة ضد جيرانه لتقوية أركان دولته: يراجع: عبد الفتاح مقلد، الغنيمة، موسوعة تاريخ المغرب العربي، القاهرة، 1994، ج3، ص116.

لقد لخص الوزان وضع الدولة الزيانية بقوله: "... وقد استقر الملك في بني زيان ثلاثمائة سنة، غير أن جيرانهم اضطهدوا من قبل ملوك فاس الذين دخلوا تلمسان عشر مرات، وكان مصير ملوك بني زيان حينئذ إما القتل، أو الأسر، أو الفرار عند جيرانهم الأعراب، و تعرضوا أحيانا أخرى إلى الطرد من قبل ملوك تونس الحفصيين، و استطاعوا أن يستمتعوا بها مدة 130 سنة.. " ينظر: الوزان، الحسن بن محمد، وصف إفريقيا (ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر)، ط2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983م، ج1، ص380.

(47) خصص بياس لإقليم وهران في كتابه مسار الرحلة أكثر من مائتين صفحة تناول تاريخ و حضارة مدنه ومناطقه:

Ibid, pp.182-329.

(48) Basset, René, « Œuvre scientifique de la France en Algérie et nord Afrique »,

20,1920.pp.89-96. In, Journal asiatique, T

Bel ,Alfred, « René Basset », In,R.A,n°65,1924,pp.12-

19

(50) قام باصيه بفهرسة مخطوطات زاوية الهامل بيوسعادة بعد ما كلفه الجنرال كولي (Collet - Meygret) سنة

1896، و أنجز العمل في فهرسة أحصى فيها مخطوطاتها بـ53 في 99 مجلد، تهتم بميادين المعرفة التالية: (الفقه-

تفسير القرآن- التاريخ- التصوف- وعلوم اللغة).

(51) أنجب باصيه ولدين هما من رواد الإستشراق الفرنسي في الجزائر: هنري (1892-1926) و أندري (1895-

1956)، أما ابنته فتزوجت من رائد الدراسات التركية العثمانية المستعرب الفرنسي جون ديني (Jean

Deny) (1879-1963)، و مدير معهد الرسات الشرقية الحية بباريس ما بين 1937-1948.

(52) (Walsin ,Esterhazy, op.cit,pp.164-229.

- (53) René, Basset, « Les dictons satiriques attribués à Sidi Ahmed Ben yousef », In, Journal asiatique, septembre-octobre, T.XVI, pp.203-297.
- (54) أصدر أبو حمو الثالث (923-934هـ/1516-1528م) مرسوم يقضي بإعدام الولي أحمد بن يوسف فأدخل بموجبه السجن ، و لكن حسب الأسطورة اختفى فجأة، لقب بالسجين المخفي، فذهب إليه السلطان ، و قال له : " اذهب لقد سرحتك". و كانت دعوته أن هرب و استنجد سكان تلمسان بعروج بربروسة، وبعد استشهاد عروج لجأ إلى مزغران وربط علاقات حسنة مع أخيه خير الدين مؤسس أيلة الجزائر.
- للمزيد حول الموضوع راجع : محمد، دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر و دور الإخوة بربروسة 01512-
Basset, op.cit., pp220.-223. 95، ص 2013م/1434هـ، شركة الأصالة، الجزائر، 2، 1543
- (55) Basset, op.cit., pp228.-297.
- (56) في كتاب دوما ، جاء التعبير على النحو التالي : "وهران الفاسدة، بعنا لقوم الكافرة، حتى يوم القيامة "، و أيضا: وهران للبيع و الشراء... لا تقارنها ببلاد أخر.. ليدخلها فقير يصعب غني... وهران للبيع و الشراء... لا تقيسها ببلاد... من دخولها فقير.. يولي غني. ينظر:
- Le Général Eugène, Dumas, la vie arabe et la société musulmane, Paris, la librairie nouvelle, 1869, pp.227-228.
- (57) ARNAUD, « Voyages extraordinaires et nouvelles agréables par Mohammed Abd el-Kader en-Nasri. Histoire de l'Afrique Abou Bas ben Ahmed ben septentrionale », In, RA, n°24, 1880, pp.133-139.
- (58) Doutté, Edmond, « L'œuvre scientifique de l'école des Lettres d'Alger », In, R.A, n°49, 1905, p.440.
- (59) Doutté, E, Note sur l'Islam Maghribin -marabouts ,Paris ,Ernest leroux, 1900
- كما نشر أعماله في مجلة تاريخ الأديان ما بين 1899-1900، و كان يعاضده في أبحاثه جزائريان هما: علال عبدي (ت 1908)، و بومدين بن زيان. ينظر:
- Messaoudi, Alain, les arabisants et la France coloniale, collections : Espace, Temps, Lyon, 2015, pp.154-155.
- (60) قدم دوتي إحصائيات موثقة عن الوظيف الديني في الجزائر لسنة 1899، و الذي شمل 174 مؤسسة دينية، توظف 573 في العملات الجزائرية الثلاث. للمزيد يراجع:
- Doutté, dE, L'Islam Algérien en l'an 1900, Alger-Mustapha, 1900, pp.120-128.
- (61) Doutté, E, Notes sur l'Islam Maghribin -marabouts ,Paris, Ernest leroux, 1900, p.60.

(62) ابن القنفذ، أبو العباس القسنطيني، أنس الفقير و عز الحقيير(نشره و صححه : محمد الفاسي و أدولف فور)،
الرباط: منشورات كلية الآداب ،المركز الجامعي للبحث، 1965، ص 4.

(63) الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى، المغرب و الجامع العرب عن فتاوى علماء افريقية و الأندلس و
المغرب(أخرجه جماعة من الفقهاء تحت إشراف محمد حجي)، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1981، ج2، ص
395.

(64) الأثر : 15981: حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال، حدثنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير، في قوله " :وإذ
قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء" ، قال: نزلت في النضر بن الحارث.